IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثالث عشر (ص: 240 - 255)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[تحديات الإبداع النقدي بين الهوية والعالمة]

[الاسم الكامل: رامي كمال عبدالحميد أحمد]
[الانتساب: أستاذ التّعليم الثانوي وباحث دكتوراه، بجامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة]

الملخص:
إن النقد العربي واجه كثيرا من التحديات حالة بينه وبين الغاية الحقيقية له، من نقل المجتمع من وهاد الضرورة إلى آفاق الحرية والتقدم. وقد سعيت في هذه الدراسة أن أجمع أهم التحديات التي واجهت الناقد العربي؛ مستعينا بفكر جابر عصفور في كتابه " تحديات الناقد المعاصر" ومختتما بأهم النتائج لهذا البحث.
الكلمات المفتاحية: التحديات، الناقد العربي، الهوية المزدوجة، القمع، اللغة، الإبداع العلمي.

الملخص باللغة الإنجليزية:
[Challenges of Critical Creativity between Identity and Universality]

Arab criticism has faced many challenges, a situation between it and its true purpose, from moving society from the core of necessity to the horizons of freedom and progress. In this study, I sought to collect the most important challenges that faced the Arab critic. With the help of Jaber Asfour's thought in his book “Challenges of the Contemporary Critic,” he concluded with the most important results of this research.

✓ فرضية الكتابة:

نفترض أنّ المقال سيسعى لجمع أهم التحديات أو العراقيل التي تواجه الناقد والمبدع العربي، وخطورة التوجه الأحادي نحو هدف واحد وإبداع معين.

✓ أهداف البحث:

يهدف العمل إلى:

- التعرف على أهم التحديات التي تواجه الناقد والمبدع العربي.
- نقد التبعية الغربية التي فرضت علينا دائما التأخر وصعوبة اللحاق بها.
- البحث عن مجالات أخرى ينفرد بها الناقد والمبدع العربي يكون له السبق فيها والانفراد.
- تقبل الناقد العربي النقد الذاتي للخروج من حيز التخلف إلى فضاء التقدم والتطور.
- أخذ الناقد والمبدع من ثقافة الآخر ما يناسب الثقافة والبيئة العربية وتطبيقه عليها.

✓ **المنهجيّة:** المنهج التاريخي والتحليل التنظيمي.

✓ **الأهمّية:**

- إلقاء الضّوء على أهم العراقيل التي أعاقت الناقد العربي من اللحاق بركب الحضارة، ووصوله إلى العالمية
- تنمية النقد الذاتي من أجل أن نبدأ من حيث انتهى الاخرون، لسرعة إثبات الذات وتنمية المهارات النقدية

- إعادة هيكلة النقد العربي مقابل النقد الغربي من خلال مؤسسات تجمع الشتات من أجل الاتحاد للتنظيم والتقسيم لتشمل معظم الإنتاج الإبداعي
- مسايرة النقد كل جديد يتفق مع ذوق الجمهور، من أجل تنمية الوعي العربي، وتثقيفه؛ بما يواكب الحياة ومتغيرات العصر.
- تبسيط الأسلوب والتعبير واللغة والمعنى؛ لجذب الجمهور، والخروج من فئة الأكاديمي والجمهور المثقف.
- فضح أيديولوجية المؤسسات التي تسعى إلى التزييف والتغيير من أجل مصالح سياسية واقتصادية كبرى.

✓ الإشكاليّة:

- إلى أيّ حدّ أصبحت تحديات الناقد والمبدع العربي حائل للحاق بركب التقدم والحضارات الأخرى؟
- ما هي أهم التحديات التي واجهت الناقد والمبدع العربي المعاصر؟

✓ حدود البحث:

اقتصر البحث على تحديات الناقد والمبدع العربي المعاصر محددة في المحاور الآتية(التبعية واللحاق بركب الحضارة، أهمية المعرفة والإلمام بكل جديد، القمع وتحديات الإبداع، الهوية المزدوجة، اللغة وتحدي الإبداع، الحرية وتحدي الإبداع، تخلف الوعي الاجتماعي، الإبداع العلمي.

نتائج البحث:

- من أهم التحديات التي تواجه الناقد العربي، قلة عدد النقاد الحقيقين في العالم العربي من ذاع صيتهم وأصبح لهم باع في النقد وتعدت كلمتهم من المحلية إلى القومية والعالمية.
- إن الناقد الحقيقي هو: أديب، عالم، فيلسوف، ذواقة على درجة من الحرفية والدربة والدراية والمهارة في تناول النصوص واستنتاج القواعد الناظمة له.. وتحديد السنن المتغيرة للأجناس الأدبية، ومحطات تطورها والتجاوز والاختراقات الحاصلة فيها مع تقدم المعارف الإنسانية في حراكها المستمر.
- الناقد الحقيقي هو من كان إبداعه مستقل ومستمر، جمع بين التنظير والتطبيق بدلائل وحقائق اقتربت من الإبداع العلمي، ليس من حلل قصيدة، وشرح نصا وتوقف عن الإبداع.
- إن التحدي الحقيقي وراء الناقد العربي بحثه الدائم وراء سراب تأسيس نظرية نقدية عربية ثابته، رغم إيمانه بالحداثة والمتغيرات وتقلب المناهج.
- من التحديات التي جعلت النقد العربي عقيم، المباهاة بالمناهج الغربية وتطبيقها على النص العربي، دون النظر إلى طبيعة المتلقي العربي، حيث طغى الجانب الاقتصادي على الثقافي.
- انشغل الناقد العربي بالنظريات، ونسوا تعليم الأبناء حب النص وفهمه، والقراءة لفهم العالم المحيط بهم، والإبداع الحقيقي نحو تحقيق هذا الهدف.
- تحول النقد إلى نظام من الرموز والشفرات التي تحتاج إلى فكها، وليس مسلكاً مهماً للمعرفة وفهم النصوص؛ إغفالا منه للقارئ، متحسبا للناقد الآخر.
- من التحديات التي خلخلت موازين الناقد العربي غزارة الإنتاج وتراكمه مقابل القلة القليلة من النقاد مما أضعف وأرهق الفكر والعقل العربي.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثالث عشر (ص: 240 - 255)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

- عزلت الثقافة التسلطية النقد العربي عن كل جديد، وخاصة بعد أن قتلت استقلالية الفرد، ومنعت الإبداع، وميعت الحريات، مما خلقت فجوة زمانية ومكانية كبيرة بين المبدع والمثقف.
- وليس من مهمة هذا الناقد اللُهاث وراء متغيرات النظريات الغربية والانبهار بها وإنَّما التمثّل الكامل والعميق للنظرية وإدراك جوهرها ووضعها موضع المساءلة.
- إن تحديات الناقد العربي تتلخص في أربع تحديات أولا التحدي النصي، وثانيا التحدي المنهجي، وثالثا التحدي الاجتماعيّ والسياسي، والتحدي الرابع هو التحدي الثقافي.
- إن العلاقة متوترة بين الإبداع والنقد العربي، وأنّ هناك منتجاً روائياً كمياً متواتراً، ولم يستطع النقد مواكبة هذه الغزارة في الإنتاج، وأن الساحة الثقافية العربية عموماً تعاني من تحديات جديدة في ظل المتغيرات المختلفة التي يواجهها الإبداع الأدبي المعاصر، فخلقت أزمة حقيقية بين النقاد والأدباء تتعلق برؤية كل فريق لطبيعة العلاقة ومفهوم النقد لديه.
- ومن التحديات التي جعلت الناقد العربي في حيرة ظهور الكتابة الإلكترونية، والأدب الرقمي؛ مما جعله لا يستطيع المواكبة والحصر، ومن هذه المصطلحات" كتابة رقمية- أدب تفاعلي- أدب إلكتروني- سرديات رقمية- تكنولوجيا الأدب- الأدب الوسائطي....إلخ)، حيث سرقت الأقلام والأوراق من يدي الكتاب.
- من التحديات أيضا تبني المناهج الغربية؛ مما جعلها تقمع وجود النص العربي من منظومته الثقافية التي أنتجته.
- إهمال الناقد العربي سلاحه الأول في الحفاظ على اللغة العربية وسلامتها من الأخطاء الإملائية والنحوية، بمعنى أن النقاد يتغاضون تغاضيا تاما عن الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية ولا يشيرون إليها ولا يحتجون بها من قريب أو من بعيد.
- عدم إيمان الناقد العربي بالنقد الذاتي؛ لأنه يخالف الطبيعة العربية، من حيث إن العربي لا يعترف إلا بتفوقه وتميزه ويكن العداء لكل من يخالفه.

انصب اهتمام الناقد على المبدع بشكل كبير، متناسيا اللب وهو النص رغم محاولات البنيوية في دعوتها بموت المؤلف.

مدخل:

بين التحدي والإبداع:

إن التحدي هو الفعل الذي يواجه به الذات العقبات والمشكلات التي تحول بينها وبين غايتها التي تريد الوصول إليها، أما الإبداع هو تخطي شروط الضرورة من تغيير ونظام وتعاون؛ من أجل تحقيق آفاق التقدم الواعد، التي تجمع بين التغيير المستمر، والتطور الملحوظ الذي يواكب الآخر المتقدم وينافسه على أعمال لا نهاية لها، من إمكانيات خلاقة لا تتوقف من الإضافات والإنجازات من أجل تحقيق التقدم المتسارع، دون المساس بالهوية التي تميزه عن غيره، وجعلت منه انتماء يساعده على الإبداع، لمواجهة ما هو عالمي، كما أن أساس الإبداع هو الأسلوب فيقول ميشال ريفاتير: " إن الأسلوب هو انزياح عن النمط التعبيري المتواضع عليه، وخروج عن القواعد اللغوية وعن المعيار الذي هو الكلام الجاري على ألسنة الناس وغايته التوصيل والإبداع"[1] وكثيرا ما يكون الإبداع علاجي، وخاصة الإبداع العربي حيث يقوم على محاولات الذات لمواجهة مفارقات وهاد التخلف إلى أفق واعد من التقدم الذي يحررها من القيود الموروثة التي بدأت تنتشر مع بدايات الاستعمار، مما

[1] voir, Riffe terre, Michael. Essais de Stylistique Structurale, Flammarion, Parues, 1971,P14

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثالث عشر (ص: 240 - 255) 15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

أفاق الهوية الثقافية العربية من نومها العميق، إلى مرحلة التحدي، والتصدي للمستعمر الذي جعل كل همه طمس هذه الهوية، وسحقها, ويؤكد ذلك الدكتور " زكي نجيب محمود": " في قوله إن معجزة الحياة في مجراها هي أنها تبدع جديدا بعد جديد في أثر جديد ... خلال ذلك الجريان يموت ما يموت ومن يموت من أبنائها، فتلد الجديد، وضربٌ من المحال في عالم الأحياء أن يولد جديد ليكون صورة مكررة بكل حذافيرها وتفصيلاتها من سالفه"[2].

ويواصل " إن معجزة الحياة في إبداعها سواء أكان ذلك الإبداع في المجال الإنساني على مستوى الإفراد أم كان على مستوى الجماعات، وإن حيوية الإنسان في شتى جوانب حياته لتقاس بمقدار ما أبدع، أعني بمقدار ما أضافه من ناتج جديد، أما الذي يحيا حياته محاكاة لحياة غيره، من السلف، أو من الخلف، على حدّ سواء، فهو إنما يحيا صورة باهتة لأصل كانت له قوته عند صاحبه" [3]

ولا ننسى أن الجمود الثابت والمتطاول لم يأخذ شكل التحدي والتغيير إلا عندما بدأت الضربة الكبرى في زمننا القريب مع نكسة 1967، وهزيمة مصر بل العرب هزيمة ساحقة من عدو صهيوني غاشم، ومن هنا أصبح الوعي الإبداعي العربي في مأزق جذري، فرض عليه أن يضع ذاته ومن ثم هويته موضع المساءلة، سواء كان بالشكل الذي يحيط به، حيث أصبح مجتمعا مهزوما، ومحاكاته الفعلية لواقعه المزري، أو احتجاجه ونقده لهذا الواقع الذي سيصبح وصمة عار في تاريخه، ومن ثم كانت النتيجة التي رصدت بشكل مباشر هي الرغبة في التغيير والتجديد، في كل الأشكال والمجالات والرجوع عن استعادة الشكل الأوربي الخالص، ومحاولة تأصيل شكل قومي قريب من استعادة التراث مقترنا بالحياة المعاصرة، وقد بدأت مرحلة التأصيل للقومية والهوية باللجوء إلى التراث الشعبي، وقد بدأت مع جيل الستينيات "كجمال الغيطاني"، و"أمل دنقل"، وغيرهم، فالغيطاني كتب قصص رائدة في هذا الوقت مثل "هداية أهل الورى لما جرى في المقشرة" وأيضا "كشف اللثام عن أخبار بن سلام" ويحي عبدالله الطاهر كتب" إسكافي المودة" و"حكايات للأمير حتى ينام" وأيضا "أمل دنقل" حاول الحفاظ على القومية والهوية حيث استبدل أقنعة " سبارتكوس" بأقنعة "أبي موسى الأشعري" وأبي نواس، والمتنبي ".

ويقول جابر عصفور: "إن هذه الرموز جعلت من قصيدة أمل دنقل قصيدة قومية بمعنى الكلمة، وبعبارة أخرى حاول أمل دنقل تأصيل هوية قومية للإبداع، يعرفها من يقرأها على الفور بعيدا عن التغريب والأورية"[4].

هذا بالإضافة إلى توفيق الحكيم في كتابه " قالبنا المسرحي" حيث قدم أشكالا من الدراما التي اعتمدت على توظيف الظواهر الشعبية المعروفة في أداء الرواة والحكائين، وقدم توفيق الحكيم نماذج تطبيقية كشفت عن أهمية البحث عن هويتنا الإبداعية، التي من خلالها نستطيع أن نقف على أرض صلبة، تبدأ من تراث ممتد، يمكن العودة إليه، تطويرا وتأصيلا وتأسيسا، بوصفه سلاحا تؤكد به الذات حضورها فيما أصبح تطلق عليه كما نعلم " التنوع الثقافي الخلاق" الذي تقوم أصوله على احترام الخصوصيات والهويات الثقافية للشعوب .

وعندما ننظر إلى تحديات الهوية الإبداعية نجدها محكومة بشروط التخلف السياسي والاجتماعي والثقافي والديني التي أصبحت متزايدة وتتجلى آثارها على كل المجالات والأشكال، بداية من أشكال الحكم التي لم تتحرر من التبعية، وأشكال الفكر التي تتزايد غوصا في الرمال المتحركة للاتباع والتقليد، والانبهار في النقل بدون وعي فأصبحنا "ننقل المفاهيم والنظريات وعرضها عرضا يغلب عليه الانبهار الذي لا يعدو أن يكون نوعا من أنواع المباهاة بمسايرة أحدث صراعات العصر وصيحاته"[5] والظواهر الثقافية التي لا تخلو من طبائع الاستبداد، فضلا عن الأشكال المتزايدة للتطرف الديني وحالة الإرهاب العالمي التي أصابت الجميع، هذا بالإضافة إلى

---

[2] زكي نجيب محمود: "عن الحرية أتحدّث"، دار الشروق، القاهرة، ط 6، 2018، ص: 33

[3] المرجع نفسه: ص: 34.

[4]- عصفور جابر: " الهوية الثقافية والنقد الأدبي"، دار الشرق، ط مكتبة الأسرة، القاهرة، 2010، ص:117.

[5] اليازعي سعد: " استقبال الآخر، الغرب في النقد العربي الحديث"، المركز الثقافي العربي، ط1، 2004،ص:27.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثالث عشر (ص: 240 - 255)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

التصلب الاجتماعي الذي ارتبط بحضور الدولة التسلطية الذي انتهى فسادها إلى كارثة1967، كما بينا من قبل، وتدني الأوضاع الآن اقتصاديا ومازال هذا التدني في زيادة مستمرة، مما وصلنا إلى طحن الإنسان العربي، وخاصة في الأقطار العربية الأكثر فقرا وكثافة سكانية. وسنقوم بعرض هذه التحديات والعقبات التي عرقلت مسيرة الناقد والمبدع العربي على النحو التالي.

أولا: التبعية واللحاق بركب الحضارة:

إن هاجس الآخر واللحاق به، كان من أهم التحديات التي جعلت الناقد لا يرى سوى كيف يسير على منوال المبدع الغربي؟ دون النظر إلى خصوصية الثقافة العربية وقوميتها؛ متناسين الفرق الشاسع بين المتلقي الغربي والعربي، متباهين بهذه التبعية أكثر من أخذ ما يتماشى مع ثقافتنا الحاضرة، وإلباس كل جديد ثوب الثقافة العربية التي يستجيب لها المتلقي العربي؛ لذا يقول الدكتور إحسان عباس" إن العقل العربي بدأ مقلدا لا منتجا، لذا لم يخرج من عباءة الغرب، وساهم مثقفو الوطن العربي، في هذه التبعية الثقافية والفكرية في مجال الأدب والنقد"[6]. مما أضعف أسلحة النقد العربي في مواجهة تحدي الغزو الثقافي الغربي.

وينقد "إدوارد سعيد" عن هذه التبعية بقوله: "ويساوروني الانطباع أننا في العالم العربي، نقوم بالنسخ المباشر، ما إن يقرأ الواحد منا كتابا من تأليف "فوكو" و"كرامشي"، حتى يرغب في التحول إلى "كرامشوي"،أو" فوكوي"، لا توجد محاولة لتحويل تلك الأفكار إلى شيء ذي صلة بالعالم العربي"[7].

أما عبد الملك مرتاض أخذ على النقاد العرب كثرة المصطلحات الغربية على ألسنتهم، وأكد بعدم وجود نظرية نقدية عربية، حيث قال: " لا توجد نظرية نقدية عربية، نحن جميعا من طنجة إلى البحرين عالة على النظرية النقدية الغربية المعاصرة"[8].

ويقول سيد بحراوي" إن استمررنا على نفس المنوال، في تعاملنا مع النظريات والمناهج النقدية الغربية من منطلق الانبهار والمتابعة دون عمق، أي من منطلق التبعية الذهنية، هو نفس المنوال الذي نعيشه في الاقتصاد والسياسة والتعليم والإعلام، وهذا السيناريو يرشحنا للانقراض وعدم المساهمة في التطور البشري، ونصبح عالة على النظام العالمي الجديد، لذا لابد من التخلص منها بكافة الوسائل كما يحدث في إفريقيا الوسطى"[9]

وبما أن الزمن هو زمن السرد الروائي، فإن المبدع الروائي الآن يواجه تحدي كبير من حيث أنه مثقف عربي أمام العالم المتقدم، الذي يتسارع تقدمه ويتزايد يوما بعد يوم، وتقهقر عالمنا العربي وتدهوره وتراجعه، مما جعله لا يستطيع بسهولة أن يتحرر من علاقات التبعية السياسية والاقتصادية والفكرية، والثقافية، وخاصة بعد أن انتصرت العولمة، وفرضت على الإبداع العربي ما لم يكن في الحسبان، وفي هذه الناحية نجد دعوة النقاد لا تفكر إلا في التبعية ومواكبة هذا التقدم، لذا يقول جابر عصفور" وجب الآن على الكاتب المبدع أن يلم بكل ما حوله من إبداعات ويحيط بها ؛ كي يستطيع أن يواكب هذه المسيرة أو اللحاق بها.....ويقول أيضا "إن المبدع العربي في الفضاء الكوني لهذا الإبداع، عليه أن يتابع أوجه تقدم الإبداع الأمدية في الكوكب الأرضي الذي يعيش فيه، خصوصا بعد أن انزاحت حواجز المركزية الأوربية التقليدية، وأصبحت العالمية الإبداعية قرينة التنوع الخلاق"[10] ولما لا وخاصة بعد أن تحول الكوكب الأرضي إلى فضاء مفتوح بفعل تقنيات المعلومات والاتصالات المعاصرة.

---

[6] https://www.philadelphia.edu.jo/philadreview/issue5/no5/16.pdf 2020/12/18، حسن عليان، النقد العربي بين التأصيل والتبعية.

[7] ميري محمود: "أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث أزمة ثقافة أم أزمة منهج؟"،مجلة علامات، العدد 30، 2008، المغرب، ص119.

[8] فرخي بدرة: "النقد العربي بين حقيقتي الإبداع والاتباع"، مجلة الناص، العدد 7، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيجل، مارس 2007، ص: 204.

[9] بحراوي سيد: "مأزق النقد العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين"، مجلة القاهرة، العدد 181، القاهرة، ديسمبر، 1997، ص: 193.

[10] -عصفور جابر : " الهوية الثقافية والنقد الأدبي"، مرجع سابق، ص:123.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثالث عشر (ص: 240 - 255)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

ومن هنا يظهر التحدي الأكبر لدى المبدع العربي، حيث أصبحت العالمية تفرض عليه نفسها، وخاصة بعد أن أصبحت الجوائز العالمية تحوم حول المبدع الأدبي العربي بعد أن فتح الباب لها نجيب محفوظ وحصل على جائزة نوبل، وأصبحت الجوائز العالمية هدفاً منشوداً يسعى إلى تحقيقه كل مبدع.

لذا أصبح الواقع يفرض على المبدع العربي أن يشارك في الإبداع العالمي، بالإضافة إلى المتابعة النافذة والناقدة، إزاء هذا السيل الإبداعي الذي لا يتوقف، بالإضافة إلى التغيير السريع وتقليب الأفكار والمفاهيم والتصورات والتقنيات وغيرها. والتحدي الأكبر هو المفارقة الهائلة بين ما يعيشه المبدع العربي وما يعانيه فعليا، وما يراه ويتابعه قراءة ومعرفة. وتراودني عبارة عزالدين اسماعيل " لا تقديس للتراث، ولا انكسار أمام الوافد، للحقيقة أكثر من طريق،.... ولهذا أجرب كل المناهج" [11]

وهنا يدعو جابر عصفور المبدع العربي إلى متابعة أوجه تقدم العالم الكوني الذي أصبح منتسبا إليه، والوعي بدلالات التحول التي تصحب المتغيرات العالمية وتفرض الحوار النقدي مع التيارات الفكرية الجديدة، التي أصبحت تصل ما بعد الحداثة بالعولمة وبالأفكار المتصارعة عن حوار الحضارات وصراعها وتنوعها.

ودعوة جابر عصفور المبدع العربي إلى التوسع المعرفي، والوعي بكل المتغيرات العالمية، وسيلة من وسائل تفادي هذه التبعية والتقليد الأعمى دون النظر إلى المفارقات بينهم.

و من ثم طالما أن النقد إبداع على إبداع، فيجب ألا يكون الناقد مقلدا ولا مسوقا، "بل متشبعا بثقافته، قادرا على التميز والاستقلال بالرأي ما يجعله معبرا عن وجودنا الحقيقي لا عن وجوهنا المستعارة" [12] . والإشكالية التي تواجه الناقد هي كيفية الجمع بين النظريات الحديثة وتركيبها الغربي، والتبعية المجبر عليها، وثقافته العربية التي يجب أن يلحق بها هذا التقدم، بمعنى أنه يجب على الناقد أن يضفي على النظرية الغربية خصائص الثقافة العربية متمسكا بشخصيته النقدية العربية.

ثانيا: أهمية المعرفة والإلمام بكل جديد:

ومن التحديات التي تواجه المبدع العربي حالة عدم التوازن، وإحساسه بالمسؤولية تجاه التحدي السابق من وجوب المعرفة بمظاهر التغيير والتحول في العالم وأهمية مواجهة التخلف المتزايد في مجتمعه العربي الخاص، والعام.

وقد فرضت المناهج الغربية نفسها على الآخر، وبعد أن أخذت أشكال الشد والجذب مع العقاد وطه حسين، وغيرهم إلا أن المعرفة والغوص فيها لا مفر منها، وأصبحت معرفة المناهج الغربية أمراً حتمياً وضرورياً، ومثاقفةً لا شعورية.

وهذه المواجهة يجب أن يجمع بينهما لأنهما من واقع الحياة المعاصرة ولا يمكن أن يواجه مسؤولية ويترك أخرى. وهذا ما جعل الناقد يبحث دائماً عن المعرفة المنتظمة التي تجمع بين الماضي وممارسته للحداثة وتحولاتها في شتّى المجالات، ويؤكد إدريس الخضراوي على أن "النقد الأدبي الحديث تميز باغترافه من معين العلوم الاجتماعية والإنسانية ..... مما أدى إلى تركيز الناقد على الفهم العلمي للأعمال الأدبية بناء على قواعد وأليات صارمة، وهو ما يسمح بارتقاء الذوق العام للجمهور"[13]

لذا لا بد من الوعي العقلي والنقدي أن يصل إلى مرحلة وضع كل شيءٍ موضع المساءلة، ومطابقته بين المسؤوليتين يجب أن تتحول إلى عملية إبداعية كبرى.

ويقول عصفور عن العقل النقدي بأنه هو الذي" يؤسس لفعل المساءلة الذي يقوم به الناقد العربي في مواجهة التحديات المطروحة عليه فكرياً واجتماعياً، في موازاة وفرة النظريات النّقدية التي أصبحت تخايل الناقد الشاب

---

[11] أحمد يوسف عبدالفتاح : "فاعلية الناقد العربي الحديث، مجلة علامات، عدد58، جدة، أكتوبر 2005، ص: 334.

[12] محمد عياد شكري: "المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين"، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر 1993 ، ص146.

[13] الخضراوي إدريس: " دور الناقد وحالة ما بعد الحداثة"، قراءة في كتاب "موت الناقد"، مجلة تبين، عدد 15، فبراير2016، الدوحة، ص:154.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثالث عشر (ص: 240 - 255) 15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

بما يربكه ويحيره ولا نجاة له من الإرباك إلا بفعل المساءلة العقلية التي تبدأ من الإيمان بأن النظرية في النقد عابرة للأوطان مجاوزة للأفراد والأديان"[14] بالإضافة إلى أي نظرية لا تكتمل إلا بفعل المساءلة. ولن يصل الناقد لها إلا بالمعرفة؛ لأن "فهم الأدب بشكل أعمق، يتطلب قراءة أكثر من عين، حتى تستطيع ان تنفذ إلى روحه"[15] والغريب في الأمر أن التحديات التي تواجه المبدع العربي. تتشابه مع مشكلات مبدعي الكوكب الأرضي، خصوصا أقطار العالم الثالث والتي يعاني الإبداع فيها من مشكلات التخلف ذاتها. الناتج عن حضور الدولة الاستبدادية، المقترنة بالفساد وغياب الشفافية ورفض الاختلاف، والنظرة المستريبة إلى الإبداع.

ثالثا: القمع وتحديات الإبداع:

وهذا كان واضحا مع الكثير من المبدعين الذين إن لم ينالهم العقاب من سجن واعتقال ونهاية مؤلمة، نالهم الهجرة والنفي والابتعاد عن الوطن، أو فرار من قمع لا يحتمل، ويدخل القمع من ضمن أكبر تحديات الإبداع الأدبي في عالمنا العربي؛ حيث كان سببا كبيرا في دفع كثير من كتاب العالم الثالث الفرار إلى أقطار التقدم كي تجد مجال للإبداع الحر.

بدأ القمع في مطلع السبعينات بعد هزيمة 67 بغلق المجلات الأدبية، ومحاصرة الكتّاب وسيطرت الموظفين والسلفين على أدوات النشر، وأجهزة الثقافة " مما أدى إلى حجب ما يستحق النشر، وترويج التافه والمتخلف بهدف إفساد الوعي" [16]

والقمع كثير ما يكون للدولة يد فيه أو ناتج عن تطرف ديني متعصب فمحاولة اغتيال نجيب محفوظ من شاب أفسدت عقله جماعات التطرف الديني صورة من صور القمع، وقتل فرج فودة كان على يد هؤلاء أيضا، وتفريق الدولة بين نصر حامد أبوزيد وزوجته واتهامه بالكفر، وظل مطاردا حتى بعد موته، كما أنه لم ينج أي قطر عربي من هذا القمع، رغم أن القمع ساعد على الحد من الإبداع الأدبي، إلا أنه ساعد أيضا على كثرة الممنوع والمصادرة، أو التضيق على توزيع الكتب، في موازاة غير المسموح بالنطق بالأفكار والآراء التي تدخل في باب المسكوت عنه، والمنهي عن الخوض فيه أو التعرض له من محرمات الدين والجنس والسياسة التي تتخذ علاقات متبادلة، هذا بالإضافة إلى إقصاء موضوعات بعينها التي يعالجها الأدب رغم الإبداعات الأدبية التي كان يظهر فيها.

فمثلا الهجوم الشرس على "مسك الغزال" لحنان الشيخ و"بيع نفس بشرية" لمحمد المنسي و"البلدة الأخرى" لإبراهيم عبدالمجيد والهجوم الديني على "عزازيل" ليوسف زيدان إسلاميا ومسيحيا، ومصادرة رواية إبراهيم عيسى " مقتل الرجل الكبير" والقمع الثقافي لمحمد عوض في كتابه "أفكار ضد الرصاص"، و"للخبز الحافي" من قبل؛ ....إلخ. ومن ثم يقول جابر عصفور:" إن أذى القمع لا يقتصر عند هذا الحد بل يمتد إلى الوعي المجتمعي نفسه، حيث يساعد على ترسيخ عقلية النقل والتقليد والطاعة لولي الأمر وأشباههم، فتجف بذلك ينابيع الابتداع، وتفيض آبار الاتباع والتقليد"[17]بالإضافة إلى تحول الإبداع الأدبي بسبب القمع إلى إبداع آلي ، تحيله عوائد التحسب إلى ممارسة حذرة ذاتيا كأنه يمشي على الأشواك، ومع طول هذه الممارسة يعتاد المبدع فلا يسير إلا في الدروب الآمنة، عازما حدوده، منطويا على رقيب داخلي ينادي به على المناطق المتفجرة بألغام المحرمات، ويظل في دائرة المألوف والمعروف والمعتاد، نافرا من معاني المساءلة أو النقض.

رابعا: الهوية المزدوجة:

أما إذا انتقلنا إلى تحدي الهوية المزدوجة فمن خلال هجرة المبدعين أو نفيهم أو استقرارهم في بلاد المهجر وتعلمهم للغة البلد التي استقروا فيها، هل ينتسبون إلى الأدب العربي أم إلى أدب اللغة التي كتبت بها

---

[14] عصفور جابر:" تحديات الناقد المعاصر"، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، 2014، ط1، ص:12.
[15] الخضراوي إدريس: " دور الناقد وحالة ما بعد الحداثة"، مرجع سابق، ص: 158.
[16] سليمان محمد: "النقد والقمع وفتوحات التخلف"، مجلة أدب ونقد، العدد16، أكتوبر، القاهرة، 1985، ص:144.
[17] عصفور جابر:" تحديات الناقد المعاصر"، مرجع سابق، ص:38.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثالث عشر (ص: 240 - 255) 15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

الأدب والإبداع، وقبل الخوض في الإجابة عن السؤال يجب أن نعدد نماذج من هؤلاء، فإدوارد سعيد وحليم بركات وغيرهم استقروا في أمريكا، أما أهداف سويف والطاهر بن جلون وآسيا جبار ومليكة مقدم ، وأمين معلوف، بالإضافة إلى أقرانهم لكثرتهم من المغاربة والجزائريين في فرنسا، وجمال محجوب السوداني وغيره، فإبداع هؤلاء كما أشار إليه جابر عصفور سمي بالهوية المزدوجة، فإبداع ينتمي إلى الوطن العربي الذي ينتمي إليه هؤلاء، كما يعبرون عن همومه ومشكلاته، مثل أهداف سويف في "عين شمس" وابن جلون في " ليلة القدر".....ألخ. وإبداع ينتمي إلى لغة الكتابة والجنسية المكتسبة.

وهذه الهوية المزدوجة تحدث عنها إدوارد سعيد في سيرته الذاتية التي تحمل عنوان" بعيد عن المكان" وقد ترجمها" فواز طرابلس" وقد كانت هذه السيرة عبارة عن تجربة ينقلها لنا "إدوارد سعيد" في لغته ليست لغته الأصل، فاللغة العربية هي اللغة الأم والإنجليزية هي لغة الكتابة، فهما ينتميان إلى عالمين مختلفين، ويؤكد سعيد على أن" هذا النزاع على بين طرفي هويته لم يفارقه يوما واحدا، فلم يحظ براحة قط من ضغط إحدى اللغتين على الأخرى، ولم ينعم بشعور التناغم بين أصل ماهيته وما صار إليه"[18] كما يؤكد عصفور على أن هذه الهوية المزدوجة في إدوارد سعيد مثالا جعلت الكتابة متوترة، وطغت على الكتابة أيضا أفعالا من الانزياحات والتغايرات والضياع والنشوة، وجعلت أيضا الهوية تتكون من تيارات وتحركات لا من عناصر ثابته جامدة"[19].

في حين أن هناك هوية مزدوجة إيجابية وقد تحدث عنها أمين معلوف بحكم أنه مثالا من أمثلة أصحاب الهوية المزدوجة يقول" إن الهوية المزدوجة الإيجابية هي التي تعتز بثقافتها، وتحترم ثقافة البلد المضيف، قابلة هذا التنوع بين كيانين ثقافيين تتحول العلاقة بينهما إلى مصدر ثراء للطرفين بعيدا عن التعصب" [20].

كما أن أمين معلوف يضع مقولة لكل المنتمين للهوية المزدوجة، رغم افتخاره بهذه الهوية فيقول" أنا الذي أتبنى كلا من انتماءاتي بأعلى صوتي، لا أستطيع الامتناع عن الحلم بيوم تسلك فيه المنطقة التي ولدت فيها الطريق ذاته، تاركا خلفها زمن القبائل وزمن الحروب المقدسة، وزمن الهوايات القاتلة التي لا تبني شيئا مشتركا، أحلم بيوم أستطيع فيه أن أنادي الشرق الأوسط بمثل ما أدعو به لبنان وفرنسا وأروبا بلدي، وكل أبنائه مسلمين ومسحين ويهود، من كل المذاهب وكل الأصول : موطني" تلك هي الحال في رأسي الذي يتأمل ويتوقع باستمرار، وأود أن يصبح الأمر كذلك بإذن الله على أرض الواقع وللجميع"[21]وسواء اتفقنا أو اختلفنا مع أمين معلوف إلا أن الهوية المزدوجة أصبحت تدخل ضمن إطار أهم التحديات للإبداع الأدبي العربي، حيث سميت بالهويات القاتلة في العالم العربي، وخاصة بعد أن دفعت هذه الهوايات إلى هجرة عدد غير قليل من المبدعين العرب، حيث وجدوا مراحهم الإبداعي في عالم ليس فيه قيود ولا كوابح للكتابة، حيث أصبحت الحرية المتاحة لهم في العالم الجديد، أكثر بكثير من الحرية التي كانت ولا تزال شحيحة في أوطانهم الأصلية، وكان ذلك بارزا مع أهداف سويف، والطاهر بن جلون وغيرهم.

فقد كتبوا في موضوعات لا يمكن الكتابة عنها في لغاتهم الأصلية؛ لذا أصبحت اللغة الجديدة ساحة لممارسة نوع من الحرية الإبداعية التي لا حدود عليها، ولا مجموعات قمعية ضاغطة تطارد الكتابة المتحررة وتصادرها.

كما لا ننسى أن الهوية المزدوجة أثارت جدلاً كبيراً على الساحة الأدبية، وخاصة في المغرب والجزائر تحت مسمى قضية الأدب " الفرنكوفوني" وإلى أي هوية ينتمي، ورغم التنبؤ بموت هذا الأدب بعد جلاء الاستعمار، ولكن هذه الكتابات زادت، وأصبحت أرض خصبة لنموها وانتشارها، ومن أهم هؤلاء الذين لهم باع كبير في الأدب

---

[18] عصفور جابر: " الهوية الثقافية والنقد الأدبي" ،مرجع سابق، ص:132.

[19]- المرجع نفسه: ص:132.

[20]- نفسه: ص:134.

[21]- معلوف أمين: " الهويات القاتلة"، ترجمة نهلة بيضون، ط3،دار الفارابي، بيروت، 2015،ص:55.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثالث عشر (ص: 240 - 255) 15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

الفرنكفوني هم إدريس الشرايبي، ومحمد خيرالدين، وأحمد الصفريوي، وابن الفقير، وكاتب ياسين، والطاهر بن جلون، عبداللطيف اللعيبي،
ومحمد بن حسن الوزاني، وعبدالله العروي.....ألخ.
أما قضية انتماء هذا الأدب رغم اقترابه للموطن الأصلي واعترافه بالهوية الأولى وهي الأم، ولا يعرف سوى اللغة التي كتب بها. إلا أن كثيرا من النقاد والأدباء جمعوا هذا الأدب ونسبوه إلى الكتابة العربية سواء إسلامية أو مسيحية في المحتوى أو إنجليزي أو فرنسي أو ألماني اللغة، هذا بالإضافة إلى لقب الأدب الفرنكفوني في المغرب والجزائر، والانجلوفوني في المشرق، ويدعو جابر عصفور إلى قبول هذا الوضع بقوله" لا بأس من تقبل هذا الوضع الجديد، خصوصا بعد أن أصبحت الظاهرة عامة، ولا تقتصر على الإبداع العربي وحده بل امتدت إلى غيره في كوكب أصبح معولماً، وحولته الثورة التكنولوجية إلى قرية كونية صغيرة"[22].

خامسا: اللغة وتحدي الإبداع:

وإذا انتقلنا إلى تحدي أخر وهو الإشكالية اللغوية التي نشأت نتيجة الاستعمار الإنجليزي والفرنسي، خاصة من حيث فرض لغتهم على مستعمراتهم وسيادتها، وسحب البساط من تحت لغة الأم وهي اللغة العربية، بمحاولات كثيرة دون ملل أو كلل، بدأت بسيادة اللغة العامية في كثير من الأقطار، ودعوة اللورد كرومر المعتمد البريطاني بكتابة اللغة المصرية في مصر أثناء الاستعمار البريطاني، هذا بالإضافة إلى الجانب الفرنسي وأصبحت الثقافة الفرنكوفونية وكتّابها من المبدعين العرب سائدة في مواطن الاستعمار الفرنسي، كالجزائر، وتونس، والمغرب، في مقابل الكتابة الأنجلوفونية التي شملت الأقطار التي احتلتها إنجلترا.
وقد جمع عبدالسلام المسدي بين معضلات اللغة والهوية والثقافة والحرية وأكد على أنه" لا ثقافة بغير هوية حضارية، ولا هوية بغير إنتاج فكري، ولا فكر بغير مؤسسات علمية، متينة، ولا علم بغير حرية معرفية، ولا معرفة ولا تواصل ولا تأثير بغير لغة قومية تضرب جذورها في التاريخ، وتشارف بشموخ حاجة العصر وضروريات المستقبل، إنها تعاضلات بالغة التوالج بين الشأن اللغوي، والشأن المعرفي، والشأن الاقتصادي، ولا جامع لها كلها إلا مؤسسة صناعة القرار" [23]
وبرّر معظم الكُتّاب أنّ كتاباتهم كانت تعبيرا ودفاعا عن أوطانهم ضد المستعمر، مستغلين معرفتهم لهذه اللغة، وبرّروا آراءهم بأن اللغة ما هي إلا وسيلة للمقاومة ضد المستعمر، ويقول مولود معمري:" إن اللغة فرنسية لكن التعبير جزائري"[24].
ويؤكد مالك حداد صعوبة الكتابة باللغة العربية بقوله: " لقد شاء الاستعمار أن أحمل اللكنة في لساني .....وأن أكون مقيد اللسان ....ولو كنت أعرف الغناء بالعربية لتغنيت بها" [25] بمعنى أن المشكلة هنا أكبر وهي فقدان للمعرفة وخاصة اللغة الأم ، وهذا نتيجة النشأة والتربية
والحياة التي ترعرع فيها، التي تبعد كل البعد عن التمسك بلغة الأم وتعليمها وإتقانها رغم أنهم لم ينكروا أصلهم وجنسيتهم؛ لذا يقول مالك حداد" نحن نكتب بلغة فرنسية لا بجنسية فرنسية"[26].
والحقيقة إن أدباء مثل محمد ديب، ومولود فرعون، وكاتب ياسين، ومالك حداد، وآسيا جبار، ومولود معمري، وإدريس شرايبي، فهؤلاء نشؤوا في سياق استعماري فرنسي معادي للغة العربية، فقد منع الاستعمار تدريس اللغة

---

[22] عصفور جابر :" الهوية الثقافية والنقد الأدبي"، مرجع سابق، ص:137.
[23] المسدي عبدالسلام: "الهوية العربية والأمن اللغوي"، دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات ، ط1، بيروت، يوليو2014، ص: 272.
[24] عصفور جابر:" الهوية الثقافية والنقد الأدبي"، مرجع سابق، ص:139.
[25] - المرجع نفسه: ص:141.
[26] - المرجع نفسه، ص:141.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثالث عشر (ص: 240 - 255) 15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

العربية وحاربها مقابل تدريس اللغة الفرنسية، فلا بد أن تكون النتيجة كُتّابا يكتبون بالفرنسية حقا، ولكن بما يعبّر عن تطلعات وطنهم للتحرر، الذي أسهمت فيه كتابتهم من خلال التأثير على القارئ العربي والفرنسي، وكان بالفعل هناك دور رئيسي وبارز لهذه الكتابات في المقاومة والتأثير على كلا الطرفين، فقد ساعدت هذه الكتابات تحويل القضايا الاستعمارية من محليتها إلى العالمية، وفضح الاستعمار بأدواته الخارقة وتحديه لكل ما يقال عن الآدمية الإنسانية، وسحقه لحريات وحقوق الإنسان، بالإضافة إلى الشعور بالألم والكراهية للمستعمر من جانب المتلقي العربي سواء القارئ بهذه اللغة، أو ما تم ترجمته لهذه الأعمال، وهذا يدل على أن هؤلاء كانوا يتصدون لوحشية المستعمر الفرنسي بكل قوة، ولم يكفوا عن مقاومته بكل ما يستطيعون حتى حققوا هدفهم من طرد الاستعمار من بلادهم.

وهؤلاء ليس لهم علاقة بجيل اليوم ولا تنطبق أعمالهم على أمثال إدوارد سعيد وأمين معلوف وغيرهم، ولكن التحدي الأكبر في ذلك ونقطة التأثر والخلاف، هي أن اللغة ما هي إلا نتاج سياق اجتماعي يحيط بها ويتأثر بسرعة، وذلك كان ملحوظا على ضياع ثوابت اللغة العربية، ودخول كثير من المفردات الغربية إلى اللغة ؛ مما جعلها أقرب إلى اللغة الأجنبية الدخيلة من مفرداتها الأصل، وهذا أصبح جاليا بين المثقفين ولغة الشارع والإعلام والثقافة العامة والإشهارات ووسائل الإعلام المختلفة، وخاصة أدوات الاتصال الحديثة وغيرها.

وقد أدى ذلك إلى تغاضي النقاد عن الأخطاء اللغوية والإملائية والنحوية، معللين نشأة المبدع بعيدا عن اللغة الأم، وتقول نازك الملائكة" إن النقاد يتغاضون تغاضيا تاما عن الأخطاء اللغوية والإملائية والنحوية فلا يشيرون إليها ولا يحتجون عليها" [27] رغم إن المسؤولية كاملة للحفاظ على اللغة العربية تقع على عاتق الكتاب المبدعين، والنقاد، والمعلمين.

وإني أرى أن اللغة إذا كانت عنصرا رئيسيا عند سائر الأمم من عناصر هويتها القومية، فإن اللغة العربية هي كل العناصر، وذلك لكون اللغة العربية مأثرة الأمة الأولى وصناعتها المتقدمة وميزتها التي تباهي بها بين الأمم، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، مما أكسبها قداسة وتعظيما، ولأنها أيضا مفتاح كل العلوم والكنوز الثقافية والتجارب التاريخية للأمة، هذا بالإضافة إلى دور اللغة العربية البارز والفعال في المحافظة على باقي وسائر مرتكزات تلك الهوية كالدين والتاريخ والفكر والوجدان العربي.

أما قول الدكتور جابر عصفور في مقال له منشور بجريدة الأهرام يوم 3‘إبريل 2009، " إن اللغة ليست العامل الحاكم في تحديد الهوية الثقافية، وإنها مجرد مكون من مكونات الهوية"[28]

ويستند جابر عصفور في هذه الفكرة على الأديب الجزائري" مراد بوربون" من أن اللغة الفرنسية ليست ملكا للفرنسيين، وليس سبيلها الملكية الخاصة، وذلك لأن أي لغة يمكن أن تكون ملك لمن يسيطر عليها ويطوعها للإبداع الأدبي، أو يعبر بها عن حقيقة ذاته القومية أو الوطنية"[29]

وأنا وغيري مختلفين مع جابر عصفور في هذه النقطة، أولا: لأنها تتنافى مع ما أكده عصفور نفسه من أن التمسك باللغة العربية هو التمسك بالهوية والقومية، وثانيا: أن اللغة العربية ليست فقط مجرد أحد مكونات الهوية الثقافية العربية بل هي الأساس، وما بعدها فروع صغيرة متفرعة عنها، والدليل إذا أردنا أن نطمس هوية أو قومية فعلينا أولا بطمس اللغة، ولن نستطيع أن نعلو بهويتنا وقوميتنا إلا من خلال التمسك بلغتنا العربية ومعرفتها.

هذا بالإضافة إلى الكتابة بلغة الاستعمار تقلصت، وخاصة بعد عملية التعريب التي حققت ثمارها على امتداد المغرب العربي، كما أن الأغلب والأعم من الإبداع مكتوب باللغة العربية، وخاصة بعد أن عدد غير قليل من

---

[27] الملائكة نازك:" قضايا الشعر المعاصر"، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، مايو، 1978، ص: 325.

[28] جرار صلاح:" اللغة والهوية في الثقافة العربية ،الثقافة العربية المستقبل والتحديات"، سلسلة ندوات، طبعة مؤسسة سلطان بن على العويسي الثقافية، عمان الأردن ،2011،ص:101

[29] عصفور جابر:" الهوية الثقافية والنقد الأدبي"، مرجع سابق، ص:142

الكتاب الذين يمتلكون اللغتين أو أكثر أصبحوا يؤثرون اللغة العربية التي غلبت على إبداع المغرب العربي، إلا أن هذا التحدي مازال له تأثيراته التي تجعل من الإبداع الأدبي في تراجع لغوي، وكأن اللغة بدأت ينسحب بساطها من تحت أرجل المبدعين.

سادسا: الحرية وتحدي الإبداع:

أما غياب الحرية فيعد من أخطر التحديات المطروحة على الإبداع العربي الحديث، لأن "الإبداع هو فن السمو بالذوق عن السذاجة، والعلو بالفكر من الاتباعية وإطلاق العنان لمواهب عقلية في سماء الإلهام الحر المطلق"[30] والحرية المطلقة هنا منصبة على حرية التعبير ويقول المفكر الألماني "إرنست كاسيرر" :إن حرية التعبير هي الجوهر الأساسي لحقوق الإنسان برمتها فبها يمكن الإنسان أن يضمن أساسا متينا لحرية تفكيره وأمنه والمساواة أمام القانون، وغير ذلك. وهكذا، كان فولتير "مقتنعا بأنه يكفي إظهار وجه الحرية الحقيقي للبشر من أجل إيقاظ كل القوى الضرورية فيهم وتركيزها لتحقيقها"[31]

وقائمة الدول الاستبدادية وسياسة القمع المفرطة، التي ورثها الإبداع على مر التاريخ شاهد على ذلك ، سواء كان القمع نابع من الدولة، أو ناتج بسياسة غير مباشرة عن الدولة ،أو سياسة العنف والتطرف والإرهاب التي أصبحت أيديه تطول كل من يصل إبداعه إلى حد الإبداع واستخدام العقل، ومساندة الفكر؛ والتاريخ العربي شاهد على هذه السياسات وأهمها، ما فعله المنصور(136- 158) بأمثال أبي حنيفة النعمان من سجن وغيره، مرورا بقتل ابن المقفع، وسديف الشاعر، وأيضا قتل بشار بن برد، وحماد عجرد، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، وسجن أبي العتاهية في خلافة المهدي(158-169) وحبس ل"بشر بن المعتمر الهلالي "شيخ المعتزلة، وقتل "صالح بن عبد القدوس، ومروان بن أبي حفصة" في خلافة الرشيد(170-193) ومقتل علي بن جبلة الشاعر، وسجن أحمد بن حنبل، وقتل أبي نواس في عهد المأمون(198-218) ،ومقتل دعبل في عهد المعتصم، ونفي مروان بن أبي الجنوب، وتعذيب أحمد بن حائط المعتزلي، وسجن ذي النون المصري، ومصادرة كتب الكندي الفيلسوف وضربه في عهد " الواثق" وقتل ابن الزيات بالتنور، وحبس على بن الجهم ومحمد بن صالح العلوي و" الجماني العلوي" من الشعراء، ووفاة البعيث الشاعر في السجن، واضطهاد المعتزلة ومطاردتهم منذ عهد المتوكل(222-247)، ومقتل ابن الطيب السرخسي تلميذ الكندي في عهد المعتضد، ودس السم لابن الرومي في عهد المكتفي (289-295)، ومقتل محمد بن داوود الجراح والتمثيل بجثته والحلاج وغيرهم.....ألخ

وأما القمع في العصر الحديث فلم يكن بعيدا عن هذه العصور ولكن بصورة مختلفة والأمثلة تبدأ مع البارودي وعلي الغاياتي من سجن ونفي، ثم شوقي، وكذلك الشيخ علي عبدالرزاق حيث أطيح به من منصبه القضائي، وسحب الشهادة الأزهرية بعد صدور كتابه " الإسلام وأصول الحكم" موجها كلامه للملك فؤاد، حينا قام بتنصيب نفسه خليفة للمسلمين بعد سقوط الدولة العثمانية.

وهذا ما أنصب أيضا على طه حسين من خلال كتابه "في الشعر الجاهلي" "حيث كان أكثر جرأة في مهاجمة النظر القديم، والدعوة إلى تجاوزه وشكك في القناعات والمسلمات واستفز القراء والمتلقين، ودعا للتأكد من صحة هذا الأدب الذي تنهال عليه الدراسات من كل حدب وصوب"[32]لذا انهال عليه الهجوم حتى أخلى سبيله وكيل النيابه ، مما دفع طه حسين لتغير العنوان " في الأدب الجاهلي" وجعل المقدمة هي دفاعا جيدا عن حرية التفكير والاجتهاد، وعن حق الخطأ في الوقت نفسه.

كما لا ننسى الحكم الجائر على نصر حامد أبوزيد والتفريق بينه وبين زوجته كما ذكرنا من قبل.

---

[30] قسوم عبد الرزاق: "الابداع والحرية" ،.صحيفة المجاهد الأسبوعي .العدد : 2186.

[31] Ernst Cassirer, Philosophie der symbolischen Formen, vol. 1: Die Sprache, Claus Rosenkranz (ed.) (Hamburg: Felix Mainer Verilog, 2010), p.263.

[32] ميري محمود: "أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث، دار الأمان، الرباط، المغرب،2016ط1، ص:53

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثالث عشر (ص: 240 - 255)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

والهجوم الذي نال أيضا الأعمال كرواية "إحسان عبدالقدوس" " أنف وثلاثة عيون" وقد نالت هجوم قوي من أعضاء مجلس الشعب بسبب خروجها عن الأخلاق وثوابت المجتمع، وأيضا نزار قباني ووقف قصيدته" هوامش على دفتر النكسة"

في حين أن وسائل القمع قد هدأت وطأتها بعد نكسة 1967، ولجوء عبدالناصر إلى نظام التصالح مع قوى الشعب وجيل الستينات، وسرعان ما عادت أقوى من إغلاق للمكتبات ودور النشر ومصادرات... وغيرها. وتارة أخرى قد كانت محاولات اغتيال " نجيب محفوظ" في الرابع من عشر من أكتوبر عام 1994، نابعة من القمع الناتج عن التطرف الديني، بمعنى أن الخطر على حرية الإبداع لم يعد من الدولة فقط، بل أصبح قرين الجماعات المتطرفة من تيارات التأسلم السياسي، وهذه التيارات أصبحت ميلاد قمع الدول الاستبدادية مما جعل خطرها يحط على الجميع وخاصة المبدعين.

هذا بالإضافة إلى المحاكم وقضايا الجنح التي بدأت ترفع على المبدعين وأصحاب الرأي الحر، فالروائي " جمال الغيطاني" صدر ضده حكم ، وتم تغريمه ثلاثين ألف جنيه، بسبب تصديه لحكم جائر على الشاعر " أحمد حجازي" وهنا أصبحت المحاكم نوع من أنواع القمع الإبداعي وترويع المثقفين المدافعين عن الدولة المدنية والمجتمع المدني على السواء.

سابعا: تخلف الوعي الاجتماعي:

أما التحدي الحقيقي الذي يتصدى للإبداع الأدبي العربي هو تخلف الوعي الاجتماعي، وهذا هو مربط الفرس التي يجب أن يحظى بكثير من الاهتمام، فالوعي هو نوع من أنواع استخدام العقل من أجل المعرفة، والحكم على الأشياء بعلم واع، وعقل مفكر، وهذا الوعي لابد له من عملية إبداع عالية؛ كي يصل هذا الوعي للجميع ولن يصل إلا من خلال الفكر والثقافة والقراءة والمعلومات الصحيحة، بمعنى أنه لابد أن تكون هناك منظومة فكرية عالية من أجل تعميم الوعي الاجتماعي كي يصل إلى كل الفئات ويحيط بكل المراحل، ويمسك كل المجالات دون النظر إلى التكاليف المادية، ودون ملل أو كلل من اللمسات الأولى؛ وكي يتم تحقيق هذه الفكرة لابد أن تكون قائمة على مركز خاص بالوعي الاجتماعي تحت عنوان" المجتمعات العربية وخروجها من النظرة الدونية". ويؤكد كاسيرر هذه الفكرة فيقول" إن تقدم العلوم والثقافة الفكرية هو مفتاح التطور الاجتماعي والأخلاقي للإنسان، لأنهما مترابطان ترابطا وطيدا" [33]

ومن ثمّ فالجانب التطبيقي في تحدي تخلف الوعي الاجتماعي يظهر لنا في المصادرة والمنع من النشر، كمصادرة رواية " الطيب صالح" " موسم الهجرة إلى الشمال" ما بين السودان والقاهرة، ونجد نفس التعصب مع وجدي الأهدل اليمني الذي عانى من هجوم المتعصبين دينيا من صدور روايته " قوارب جبلية" وأيضا مصادرة رواية " يحي إبراهيم" "الجنون العاقل" 1999.

ومصادرة رواية "قبل وبعد" لتوفيق عبدالرحمن و"أبناء الخطأ الرومانسي لـ ياسر شعبان، ورواية "أحلام محرومة" لمحمود حامد، ورواية "الجميلات" لمحمد عبدالسلام العمري .....ألخ.

ورواية" الصقار" ل"سمير غريب علي" مما أصيب بالرعب، وهاجر إلى فرنسا ومازال بها إلى الآن، ومصادرة ديوان الشاعر أحمد الشهاوي " وصايا في عشق النساء".

هذا وقد تم إعداد تقرير من المنظمة المصرية لحقوق الإنسان عن عدد المصادرات التي حدثت في معرض القاهرة الدولي للكتاب سنة 2005، وكان منها

[33] Ernst Cassirer, Die Philosophie die Aufklärung, Claus Rosenkranz (ed.) (Hamburg: Felix Meiner Verlag, 2007), p2 80

1. إحدى عشرة دقيقة، رواية للمؤلف البرازيلي " باولو كويلي".
2. ليلة القدر: الطاهر بن جلون، المغرب.
3. مسك الغزال: حنان الشيخ، لبنان.
4. الحب والحب الآخر للروائي المغربي الطاهر بنجلون.
5. حكاية مجنون : مصري مقيم في فرنسا، يحيى إبراهيم.
6. أحد عشر كوكبا: محمود درويش.
7. أول حب أول جسد، لأدونيس ....ألخ

هذا بالإضافة إلى تكفير "حلمي سالم" بسبب قصيدته "تحت شرفة ليلى مراد وأيضا العاطفة القوية ضد يوسف زيدان "عزازيل" والتي جعلت مجموعة كبيرة من رجال الدين المسيحي يكتبون بأقلام قوية مؤكدين أن هناك عدوانا كبيرا على الديانة المسيحية.....ألخ

هذه القوائم الممنوعة من النشر والعرض ظاهرة سائدة في معارض الكتاب العربية، ورغم ذلك كانت وسيلة لشهرة هذه الكتب ومعرفة ما فيها تطبيق لمقولة "الممنوع مرغوب".

ويقول سليمان المعمري في مصادرة في عصر المعلومات: "كل الرقباء خطاؤون، وخير الرقباء التوابون عن المصادرة والمنع، ويقول رغم أن المصادرة والمنع تشمل كثيراً من المعارض إلا أن الغريب أن قائمة الكتب المصادرة أو الممنوعة نالت شهرة ، وتم عرضها في المعارض الموالية، ونالت جوائز المعارض"[34].

ورغم أن الرواية كانت بعيدة عن هذه المصادرات والقوى القمعية إلا أننا أصبحنا نعيش زمن الرواية، مما جعل الرواية لها دور حيوي بالغ الحساسية على مستوى العالم الفكري والإبداعي، مما جعلها أكثر عرضة للرقابة والمصادرة، وخاصة بعد أن أصبح لها دوراً فعالاً في فتح واقتحام الأبواب المغلقة، وتجاوزها للأعراف المتوارثة اجتماعياً وسياسياً وفكرياً، ويقول عصفور" إن تخلف الوعي الاجتماعي في علاقاته السياسية، والدينية، ومن ثم المعرفية، هو المسؤول عن ضعف امتداد الإبداعات الروائية إلى علاقات إنسانية، ومجالات دينية من المحظور الكتابة فيها"[35].

ثامنا: الإبداع العلمي:

وهناك تحدي يقف سدا منيعا أمام الإبداع العربي هو الإبداع العلمي، وهذا الإبداع له فروع عديدة ومجالات متنوعة للحديث عنه، تبدأ من غياب الرؤية المستقبلية، التي تسعى إلى رؤية عوالم الغد، وخاصة بعيني الإبداع الروائي اللتان تخترقان حدود الزمان والمكان، وتفتح الأبواب المغلقة على الزمن الآتي بكل احتمالاته السالبة والموجبة، هذا بالإضافة إلى غياب الرواية المستقبلية، مقارنة مع الإبداع الروائي الغربي الذي أصبحت الروايات تشق طريقها حول المستقبل سواء من اختراق آلة الزمن، أو من خلال الخيال العلمي الذي أصبح جزء لا ينفصل عن الرواية، التي أصبحت سبيلها الوحيد هو التمثيل ووجودها على شاشات السينما، فنحن دائما على هذا النقيض.

فالثقافة العربية دائما ما تتطلع إلى الماضي، لأنه هو الوجه المستنير بالنسبة لها، فليس أمامنا إلا التحدث عن الماضي وإحياؤه، والحلم ببعثه.

رغم إن ذلك لم يحدث إلا من خلال توجيه النظر إلى الأمام. وكان نتيجة ذلك كما يقول عصفور:" خلو الثقافة العربية الحديثة من النظرة المستقبلية، ومن ثم غياب الدراسات المستقبلية الملازمة للتقدم"[36] كما لا ننسى

---

[34] سليمان المعمري، " مصادرة في عصر المعلومات" https://middle-east-online.com/ 22/12/2020

[35] عصفور جابر : " الهوية الثقافية والنقد الأدبي"، مرجع سابق، ص:15.

[36] المرجع نفسه: ص:157.

أننا أمام فروع كثيرة من تخلف الإبداع العلمي في شتى مجالاته العسكرية والسياسية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية .....ألخ.

الخاتمة:

كل هذه التحديات جعلتنا نأخذ دون تغيير أو تجديد، ونستعير دون تفكير أو تعديل، نستهلك دون تقليل أو تقنين أو تبديل. ننقل دون تنقيح أو ترتيب، وهذا يعود دائما على الإبداع العربي بالسلب، وهذه التحديات جعلتنا لا نزال أمام الكثير والكثير من التحديات، التي لابد من التفكير بكل السبل للسعي في مجاوزتها، والدخول إلى أفاق معايير تتحول فيها هذه التحديات السلبية إلى إيجابية، تقترن بما نحلم أن تصل إليه هويتنا الإبداعية، وخاصة عالم اليوم الذي نسعى جميعا من أجل اللحاق بركبه المتقدم، والإسهام مع غيرنا في تقدم العالم حتى نتحول من وضع استهلاك، وتقليد ونقل أعمى إلى إنتاج عالي ينهل منه الجميع كما كنا من قبل.

نتائج البحث:

- من أهم التحديات التي تواجه الناقد العربي، قلة عدد النقاد الحقيقين في العالم العربي من ذاع صيتهم وأصبح لهم باع في النقد وتعدت كلمتهم من المحلية إلى القومية والعالمية.
- إن الناقد الحقيقي هو: أديب، عالم، فيلسوف، ذواقة على درجة من الحرفية والدربة والدراية والمهارة في تناول النصوص واستنتاج القواعد الناظمة له.. وتحديد السنن المتغيرة للأجناس الأدبية، ومحطات تطورها والتجاوز والاختراقات الحاصلة فيها مع تقدم المعارف الإنسانية في حراكها المستمر.
- الناقد الحقيقي هو من كان إبداعه مستقل ومستمر، جمع بين التنظير والتطبيق بدلائل وحقائق اقتربت من الإبداع العلمي، ليس من حلل قصيدة، وشرح نصا وتوقف عن الإبداع.
- إن التحدي الحقيقي وراء الناقد العربي بحثه الدائم وراء سراب تأسيس نظرية نقدية عربية ثابته، رغم إيمانه بالحداثة والمتغيرات وتقلب المناهج.
- من التحديات التي جعلت النقد العربي عقيم، المباهاة بالمناهج الغربية وتطبيقها على النص العربي، دون النظر إلى طبيعة المتلقي العربي، حيث طغى الجانب الاقتصادي على الثقافي.
- انشغل الناقد العربي بالنظريات، ونسوا تعليم الأبناء حب النص وفهمه، والقراءة لفهم العالم المحيط بهم، والإبداع الحقيقي نحو تحقيق هذا الهدف.
- تحول النقد إلى نظام من الرموز والشفرات التي تحتاج إلى فكها، وليس مسلكاً مهماً للمعرفة وفهم النصوص؛ إغفالا منه للقارئ، متحسبا للناقد الآخر.
- من التحديات التي خلخلت موازين الناقد العربي غزارة الإنتاج وتراكمه مقابل القلة القليلة من النقاد مما أضعف وأرهق الفكر والعقل العربي.
- عزلت الثقافة التسلطية النقد العربي عن كل جديد، وخاصة بعد أن قتلت استقلالية الفرد، ومنعت الإبداع، وميعت الحريات، مما خلقت فجوة زمانية ومكانية كبيرة بين المبدع والمثقف.
- وليس من مهمة هذا الناقد اللُهاث وراء متغيرات النظريات الغربية والانبهار بها وإنَّما التمثّل الكامل والعميق للنظرية وإدراك جوهرها ووضعها موضع المساءلة.
- إن تحديات الناقد العربي تتلخص في أربع تحديات أولا التحدي النصي، وثانيا التحدي المنهجي، وثالثا التحدي الاجتماعيّ والسياسي، والتحدي الرابع هو التحدي الثقافي.

- إن العلاقة متوترة بين الإبداع والنقد العربي، وأنّ هناك منتجاً روائياً كمياً متواتراً، ولم يستطع النقد مواكبة هذه الغزارة في الإنتاج، وأن الساحة الثقافية العربية عموماً تعاني من تحديات جديدة في ظل المتغيرات المختلفة التي يواجهها الإبداع الأدبي المعاصر، فخلقت أزمة حقيقية بين النقاد والأدباء تتعلق برؤية كل فريق لطبيعة العلاقة ومفهوم النقد لديه.
- ومن التحديات التي جعلت الناقد العربي في حيرة ظهور الكتابة الإلكترونية، والأدب الرقمي؛ مما جعله لا يستطيع المواكبة والحصر، ومن هذه المصطلحات" كتابة رقمية- أدب تفاعلي- أدب إلكتروني- سرديات رقمية- تكنولوجيا الأدب- الأدب الوسائطي....إلخ)، حيث سرقت الأقلام والأوراق من يدي الكتاب.
- من التحديات أيضا تبني المناهج الغربية؛ مما جعلها تقمع وجود النص العربي من منظومته الثقافية التي أنتجته.
- إهمال الناقد العربي سلاحه الأول في الحفاظ على اللغة العربية وسلامتها من الأخطاء الإملائية والنحوية، بمعنى أن النقاد يتغاضون تغاضياً تاماً عن الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية، ولا يشيرون إليها ولا يحتجون بها من قريب أو من بعيد.
- عدم إيمان الناقد العربي بالنقد الذاتي؛ لأنه يخالف الطبيعة العربية، من حيث إن العربي لا يعترف إلا بتفوقه وتميزه ويكن العداء لكل من يخالفه.
- انصب اهتمام الناقد على المبدع بشكل كبير، متناسياً اللب وهو النص رغم محاولات البنيوية في دعوتها بموت المؤلف.
- أكد نواف يونس أن من عوائق الإبداع والابتكار في أدبنا العربي الحديث، وسمح ل(لفيسبوكيين الجدد) من أدباء ونقاد في فرض ذائقتهم مستغلين عملية التواصل الاجتماعي عبر وسائل الاتصال الحديثة، متناسين أن البنية المعرفية الفكرية لا تبنى إلا على أسس نقدية؛ حيث تلقح وتنتج الأفكار الجديدة التي تواكب الحياة ومتغيراتها العصرية من دون التخلي على القيم الجمالية في أي إبداع أدبي أو فني إنساني.

المصادر والمراجع :

أمين معلوف: " الهويات القاتلة"، دار الهلال، القاهرة،
بدرة فرخي، النقد العربي بين حقيقتي الإبداع والاتباع، مجلة الناص، العدد 7، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيجل، مارس 2007.
جابر عصفور: " الهوية الثقافية والنقد الأدبي"، دار الشرق، ط مكتبة الأسرة، القاهرة، 2010.
جابر عصفور:" تحديات الناقد المعاصر"، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة،2014،ط1.
زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدّث، دار الشروق، القاهرة، 2018.
سعد البازعي، استقبال الآخر، الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، ط1، 2004.
سعد اليازعي، استقبال الآخر، الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، ط1، 2004.
شكري محمد عياد، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر 1993.
[1]صلاح جرار:" اللغة والهوية في الثقافة العربية ،الثقافة العربية المستقبل والتحديات، سلسلة ندوات، طبعة مؤسسة سلطان بن على العويسي الثقافية، عمان الأردن ،2011.
عبدالرزاق قسوم، الابداع والحرية .صحيفة المجاهد الأسبوعي .العدد : 2186.

عبدالسلام المسدي: الهوية العربية والأمن اللغوي، دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات ، ط1، بيروت، يوليو2014.
[1]محمود ميري، "أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث، دار الأمان، الرباط، المغرب،2016، ط1.
محمود ميري، أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث أزمة ثقافة أم أزمة منهج؟،مجلة علامات، العدد 30، 2008، المغرب.
نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين بيروت، ط5، مايو، 1978.

المجلات:

محمود ميري، أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث أزمة ثقافة أم أزمة منهج؟،مجلة علامات، العدد 30، 2008، المغرب
بدرة فرخي، النقد العربي بين حقيقتي الإبداع والاتباع، مجلة الناص، العدد 7، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيجل، مارس 2007.
سيد بحراوي، مأزق النقد العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين، مجلة القاهرة، العدد 181، القاهرة، ديسمبر، 1997.
عبدالفتاح أحمد يوسف، فاعلية الناقد العربي الحديث، مجلة علامات، عدد58، جدة، أكتوبر 2005.
شكري محمد عياد، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر 1993.
إدريس الخضراوي: " دور الناقد وحالة ما بعد الحداثة، قراءة في كتاب "موت الناقد"، مجلة تبين، عدد 15، فبراير2016، الدوحة،
محمد سليمان: النقد والقمع وفتوحات التخلف"، مجلة أدب ونقد، العدد16، أكتوبر، القاهرة، 1985.

الروابط الالكترونية:

حسن عليان، النقد العربي بين التأصيل والتبعية. https://www.philadelphia.edu.jo/philadreview/issue5/no5/16.pdf 2020/12/18

[1]سليمان المعمري، " مصادرة في عصر المعلومات" https://middle-east-online.com/ 22/12/2020

المراجع الأجنبية:

voir, Riffeterre, Micheal. Essais de Stylistiq Structurale, Flammarion, Parueis, 1971,P14
Ernst Cassirer, Philosophie der symbolischen Formen, vol. 1: Die Sprache, Claus Rosenkranz (ed.) (Hamburg: Felix Meiner Verlag, 2010), p.263.
Ernst Cassirer, Die Philosophie die Aufklärung, Claus Rosenkranz (ed.) (Hamburg: Felix Meiner Verlag, 2007), p2 80